

تفسير البغوي

يَوْمَئِذٍ يَوْمُ الدِّينِ كَفَرُوا وَعَصَوْا الرَّسُولَ لَوْ تَسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا

قوله عز وجل : (يومئذ) أي يوم القيامة ، (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى

بهم الأرض) قرأ أهل المدينة وابن عامر " تسوى " بفتح التاء وتشديد السين على معنى

تسوى ، فأدغمت التاء الثانية في السين ، وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء وتخفيف السين

على حذف تاء الفعل كقوله تعالى " لا تكلم نفس إلا بإذنه " (هود - 11) وقرأ الباقر

بضم التاء وتخفيف السين على المجهول ، أي : لو سويت بهم الأرض وصاروا هم والأرض

شيئا واحدا . وقال قتادة وأبو عبيدة : يعني لو تخرقت الأرض فساخوا فيها وعادوا إليها ثم

تسوى بهم ، أي : عليهم الأرض . وقيل : ودوا لو أنهم لم يبعثوا لأنهم إنما نقلوا من التراب

، وكانت الأرض مستوية عليهم . وقال الكلبي : يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش

والطير والسباع : كونوا ترابا فتسوى بهن الأرض ، فعند ذلك يتمنى الكافر أن لو كان

ترابا كما قال الله تعالى : " ويقول الكافريا ليتني كنت ترابا " (النبأ 40) . (ولا يكتُمون

الله حديثا) قال عطاء : ودوا لو تسوى بهم الأرض وأنهم لم يكونوا كتموا أمر محمد

صلى الله عليه وسلم ولا نعته . وقال الآخرون : بل هو كلام مستأنف ، يعني : ولا يكتمون

الله حديثا لأن ما عملوا لا يخفى على الله ولا يقدرّون على كتمانته . وقال الكلبي وجماعة

: (ولا يكتمون الله حديثا) لأن جوارحهم تشهد عليهم . قال سعيد بن جبير : قال رجل

لابن عباس رضي الله عنهما : إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي ، قال : هات ما

اختلف عليك ، قال : " فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون " (المؤمنون - 101) ، "

وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون " (الطور - 25) وقال : " ولا يكتمون الله حديثا " ،

وقال " والله ربنا ما كنا مشركين " (الأنعام - 23) فقد كتموا ، وقال : " أم السماء

بناها " ، إلى قوله تعالى : " والأرض بعد ذلك دحاها " ، فذكر خلق السماء قبل الأرض ،

ثم قال : " أنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين " ، إلى قوله : " طائعين " (

فصلت 9 - 11) فذكر في هذه الآية خلق الأرض قبل السماء ، وقال : وكان الله

غفورا رحيمًا وكان الله عزيزا حكيما فكأنه كان ثم مضى ؟ . فقال ابن عباس رضي الله

عنهما : فلا أنساب بينهم في النفخة الأولى قال الله تعالى : " ونفخ في الصور فصعق من

في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله " (الزمر - 68) ، فلا أنساب عند ذلك

ولا يتساءلون ، ثم في النفخة الآخرة (أقبل بعضهم على بعض يتساءلون) ، وأما قوله : (ما كنا مشركين) (ولا يكتُمون الله حديثا) ، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم ، فيقول المشركون : تعالوا نقل لم نكن مشركين ، فيختم على أفواههم وتنطق أيديهم فعند ذلك عرف أن الله لا يكتُم حديثا ، وعنده (يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض) ، و (خلق الأرض في يومين) ، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ثم دحا الأرض ، ودحيتها : أن أخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين ، فقال : : خلق الأرض في يومين فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين ، (وكان الله غفورا رحيما) أي : لم يزل كذلك ، فلا يختلف عليك القرآن فإن كلا من عند الله . وقال الحسن : إنها مواطن ، ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع إلا همسا ، وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون : ما كنا مشركين ، وما كنا نعمل من سوء ، وفي موضع يعترفون على أنفسهم وهو قوله : (فاعترفوا بذنبهم) وفي موضع لا يتساءلون ، وفي موطن يسألون الرجعة ، وآخر تلك المواطن أن يختم على أفواههم وتتكلم جوارحهم ، وهو قوله

تعالیٰ : (ولا یکتُمون اللہ حدیثا) .